

بدايات الصحافة في مصراتة

أ.علي يوسف رشان

أستاذ متعاون كلية الفنون والإعلام جامعة مصراتة

ملخص البحث

يستهدف هذا البحث محاولة رصد وتتبع البدايات الأولى للإصدار الصحفي في مصراتة، وظروف نشوئه وأسباب انتهائه، وذلك من خلال تتبع ما سجلته المدونة التاريخية لمسيرة الصحافة الليبية، حول تلك الصحف.

ورغم الصعوبات وقلة الكتابات حول هذا الموضوع، فإنني حاولت قدر الجهد تسليط الضوء على ذلك المشهد الصحفي خلال تلك المرحلة التاريخية التي ترجع إلى مرحلة الاستعمار الإيطالي، لأهميتها التوثيقية حيث تجاوز العمر الزمني للإصدار الصحفي بمصراتة المائة عام خلال هذه السنة.

مقدمة

انطلقت مسيرة الصحافة في ليبيا في العصر العثماني الثاني، بظهور (المنقب الأفريقي) كصحيفة مخطوطة صدرت على القنصلية الفرنسية سنة 1827 باللغة الفرنسية، لكن الصحافة المطبوعة بدأت سنة 1866 بصدر صحيفة (طرابلس غرب) باللغتين التركية والعربية، ورغم الازدهار الذي عرفته الطباعة والصحافة في ذلك العصر وتحديدا بعد صدور دستور 1908، وأيضا صدور قانون للمطبوعات سنة 1909، إلا أن النشاط الصحفي من حيث الإصدار، ظل محصورا في مدينة طرابلس ولم يغادره إلى أية مدينة أخرى إلا بعد التواجد الإيطالي في ليبيا، إلا أنها انتشرت تداولا عن طريق الاشتراك في أعدادها من قبل المواطنين والجهات الرسمية في كثير من المدن من بينها مصراتة، يقول الباحث (علي محمد جهان) عن الصحافة كمصدر من مصادر الثقافة في المدينة في تلك الفترة: "لم تشهد مدينة مصراتة بطريقة مباشرة أي نوع من النشاط الصحفي في تلك الفترة، ومن هنا فإن

الحديث في هذا المجال يتركز على استعمال الأهالي للصحف كمصدر من مصادر الأخبار، لتصبح بذلك أحد مظاهر الثقافة العامة بالمنطقة... ومن الطبيعي أن تصل هذه الصحف إلى مصراتة⁽¹⁾، وقد كان لتلك الصحف مراسلين في مختلف أنحاء الولاية، فالصحافة الصادرة في ذلك الوقت، لم يقتصر اهتمامها على الأخبار والحوادث الدائرة في الدولة العثمانية وفي حاضرة الولاية طرابلس، بل تعدتها لنشر التعليمات والأخبار والحوادث والإعلانات بمختلف أنواعها، وذلك عن طريق المراسلات التي تردّها من مختلف أنحاء الولاية، يقول الباحث الأستاذ (علي مصطفى المصراتي) عن ذلك: "ونظمت الجرائد مراسليها في الأقاليم. وعلى الرغم من عدم تنظيم المواصلات وصعوبة النقل.. كانت الجرائد تصل منتظمة .. تصل إلى أيدي القراء والمشتريين"⁽²⁾ وعلى سبيل المثال نجد صحيفة (التريقي) قد خصت لها مراسلين من داخل الولاية وفي مدن مختلفة مثل مصراتة، وسرت، والخمس وبنغازي، وغيرها من المدن، كما أن لها مراسلين من خارج الولاية مثل مصر، وتونس، والمغرب⁽³⁾، ومن بين تلك المراسلات ما نشرته الصحيفة في عددها 150 الصادر سنة 1910، حول الحادث الذي وقع على الباخرة الإيطالية عقب خروجها من ميناء مصراتة، إذ وقع شجار بين أحد الركاب وربان الباخرة، كاد أن يؤدي إلى كارثة لولا تدخل العقلاء من المسافرين⁽⁴⁾، أو ما نشرته الصحيفة ذاتها في عددها رقم 87 الصادر سنة 1908م، وهو نداء أرسله أحد المواطنين من مصراتة نشر تحت عنوان "أهالي مصراتة في ضيق شديد" طالب فيه الحكومة بمنح قروض من المصرفين الزراعي والعثماني، لفك ضيقهم، وهو يتساءل ما فائدة هذين المصرفين إذا لم يجد الأهالي منهما المساعدة عند الحاجة⁽⁵⁾.

وإذا كانت صحيفة (طرابلس غرب) باعتبارها الصحيفة الرسمية للولاية، لم تلتفت كثيرا إلى النشاط الأدبي والثقافي، فإن صحيفة (التريقي) قد تنوعت محتوياتها، إذ ضمت في موضوعاتها المنشورة الشأن السياسي والفكري والاجتماعي، كما أولت

الشأن الأدبي اهتماما كبيرا، وبذلك ساهمت مساهمة كبيرة "في تنشيط الحركة الأدبية وتغذية روافدها في تلك الفترة المبكرة من تاريخها"⁽⁶⁾، هذا الحراك دفع بكثير من المثقفين للمساهمة في هذا النشاط وإثرائه، ومن بين ما شجعهم على ممارسة العمل الصحفي، أن مهنة الصحافة لم تكن مهنة مستهجنة من أفراد المجتمع الليبي، بل هي مهنة محترمة تجعل من صاحبها ذا مكانة في المجتمع، وترفع من شأنه، يقول الأستاذ (علي مصطفى المصرتي) في ذلك: "أما الذي تلمسه في تاريخ الصحافة الليبية فهو أنها من بادئ أمرها كانت مهنة محترمة وفنا مبدجلا. وكان يقبل على محراب الصحافة أفاضل الأساتذة والطبقة المثقفة التي نهلت من الأزهر ... أو طبقة نهلت من جامع الزيتونة"⁽⁷⁾، إضافة إلى هؤلاء يوجد مجموعة من الضباط، ومجموعة من المتعلمين العصاميين الذين تثقفوا ذاتيا ومارسوا بشغف العمل الصحفي وانخرطوا فيه بجدية واجتهاد⁽⁸⁾، ولو رجعنا إلى التاريخ العلمي والثقافي في مصراتة خلال هذه الفترة، فإنها تطالعنا بأسماء أساتذة وعلماء أجلاء مارسوا إلى جانب قيامهم بالتدريس والوعظ والفتوى، الشأن الأدبي والثقافي، ولا شك بأنه كانت لهم مساهماتهم الجادة في إثراء المشهد الصحفي آنذاك، إسوة بغيرهم من العلماء والأدباء، ولكن للأسف الشديد، فإن المدونة التاريخية الثقافية لم تكشف لنا حتى الآن على مساهمات هؤلاء وما قدموه من مجهودات وأعمال، تظل في ذاكرة التاريخ المنسي، الذي يحتاج البحث فيه ونفض الغبار عليه حتى يرى النور مجددا. ويحاول هذا البحث أن يرصد البدايات الصحفية في مصراتة من حيث

الإصدار، وذلك من خلال إجابته على عدد من الأسئلة وهي:

1-متى بدأت الصحافة في مصراتة؟

2-ما سبب ظهورها وظروف نشأتها؟

3-متى توقفت ولماذا ؟

وسيتم بحث هذا الموضوع من خلال العناوين الآتية:

- 1-ظروف النشأة.
- 2-أسباب الظهور والتوقف.
- 3-الإصدارات الصحفية خلال الفترة.
- 4-الصحافة ودورها النضالي.

ظروف النشأة

توقفت الحركة الصحفية في ليبيا بحلول الغزو الإيطالي، وخاضت البلاد على أثره حركة مقاومة مشرفة لذلك الغزو، وشهدت المناطق في غرب البلاد وشرقها وجنوبها ملاحم بطولية في التصدي لهذه القوة الغاشمة، ومن بين أهم هذه المعارك، معركة (القراضبية) التي وقعت في قصر أبوهادي بمنطقة سرت، وانتصر فيها المجاهدون على القوات الإيطالية، وما ترتب عليها من نتائج من أهمها، أنها أسهمت في قيام حكم ذاتي في بعض المناطق بعد تحريرها، من بينها حكومة مصراتة الوطنية والتي أسسها (رمضان السويحلي) في أغسطس سنة 1915م، وضمت هذه الحكومة إضافة لمصراتة كل من مناطق: القره بوللي، قصر اخيار، مسلاته، زليتن، وسرت، بينما بقت مدينة الخمس في قبضة الاحتلال الإيطالي، وكان مركز الحكومة مدينة مصراتة، ومنطقة القصبات بمسلاته مركزا ثانيا لها، وقد لعبت هذه الحكومة دورا كبيرا في حركة المقاومة الوطنية المسلحة، كما أنها لعبت دورا مهما في المقاومة السياسية، حيث كانت حكومة مصراتة وبكامل إمكانياتها وراء تأسيس الجمهورية الطرابلسية سنة 1918م ودعمها واستمرارها، وقد كان الزعماء: رمضان السويحلي، وسليمان الباروني، وأحمد المريض، وعبدالنبي بلخير، يكونون مجلس الجمهورية وقادتها، كما أن الظروف التي تزامنت وتأسست الجمهورية، والرغبة التي أبدتها الطرفان - المجاهدون، والإيطاليون - دفعت إلى إجراء صلح بينهما، وانتهى التفاوض إلى وضع اتفاق عرف بصلح (سواني بن يادم)، وصدر بموجبه (القانون الأساسي) في يونيو 1919م، وقد اعتبر ذلك تنويجا

لنضال الشعب الليبي السياسي والدبلوماسي واعترافا ضمنيا من إيطاليا بالجمهورية الطرابلسية، كما أنه وعلى درب العمل السياسي واستمرارا لهذا النضال، أنشئت بتاريخ 1919/9/30م هيئة سياسية سميت بـ (حزب الإصلاح)، وقد تولى رئاسته الشرفية (رمضان السويحلي) وأوكلت رئاسة الحزب للمجاهد (أحمد المريض).

ويسبب الدسائس والمؤامرات التي حاكتها إيطاليا لتأجيج الصراع بين المناطق والخلاف بين الزعامات الوطنية، فقد أدى ذلك إلى تقائل وصراع داخلي بينها، وانتهت تلك الكيانات التي رأى فيها الليبيون المنقذ لبعض حقوقهم من قبضة الاستعمار الإيطالي، والذي استغل هذه الخلافات وأعاد احتلال كافة المناطق لبيسط قبضته عليها مجددا، حيث احتلت مصراتة سنة 1923م وبذلك توقفت حركة المقاومة المسلحة، لتفتح صفحة جديدة في النضال السياسي من أجل تحرير ليبيا واستقلالها⁽⁹⁾.

أسباب الظهور والتوقف

عرفت حكومة مصراتة الوطنية منذ تأسيسها وحتى انتهاء وجودها، استقلالاً كاملاً عن التبعية للسلطات الإيطالية، حيث امتلكت كامل مقدراتها وأشرفت إشرافاً كاملاً على المناطق التابعة لها، حيث أنشئت مؤسسات إدارية لتسيير مختلف شؤونها "السياسية، والعسكرية، والقضائية، والمالية... وغيرها"، وقد كان من بين اهتمامات هذه الحكومة الجانب الإعلامي والدعائي، وكما مر بنا سابقاً من أن الغزو الإيطالي قد أوقف كل الصحف التي كانت تصدر أواخر العصر العثماني، كما استولى على المطابع ليعيد تشغيلها لمصلحته، إلا أن صوت الكلمة لم يتوقف، رغم دوي صوت القنابل والرصاص، الذي أراد المستعمر أن يجعل منه صوتاً وحيداً، ليزرع الرهبة والخوف والاستسلام في قلوب الوطنيين الشرفاء، وقد أشارت المدونة الصحفية إلى هذا النوع من الصحافة، واعتبرت أن أول صحافة تصدر من خارج طرابلس كانت في مصراتة وذلك سنة 1919م، حيث وجدت بها مطبعة

حجرية صغيرة، يقول الباحث (عبدالعزیز الصويغي) عن هذه الصحيفة والمطبعة: "وقد استغل عزام هذه المطبعة رغم قلة إمكانياتها وأصدر أول صحيفة وطنية ناطقة باسم الجمهورية الجديدة، وكانت باسم (سيف الحق) التي كانت تخط باليد وتوزع في السر"⁽¹⁰⁾، وعن توقفها يقول: "إلا أن الظروف حالت دون مواصلة نشر صحيفته تلك، فلم تستمر أكثر من سنة واحدة"⁽¹¹⁾ ولم يذكر مواعيد صدورها ولا الأعداد التي صدرت منها، ولعل مرد ذلك أنها توزع في السر كما قال الباحث، إضافة إلى أن قلة إمكانيات المطبعة، لا تشجع على تعدد الإصدار ولا ارتفاع كمية النسخ المسحوبة من كل إصدار، أيضا أشار الباحث ذاته إلى أن السنة نفسها - وهي 1919م - قد شهدت ولادة الصحيفة الثانية في المدينة وحملت اسم (أفريقيا)، وعدها نشرة سياسية أصدرها المجاهدون في مصراتة زمن الجمهورية الطرابلسية، وقد طبعتها نفس المطبعة الحجرية التي طبعت الصحيفة الأولى بها⁽¹²⁾ أما عن الاسم والتوقف فقد أشار الباحث إلى ذلك بقوله: "ولا يستبعد أن يكون اسمها مستوحى من اسم الفيالق الأفريقية، التي كان عثمان فؤاد يقودها، علاوة على ذلك أن سياسة إيطاليا في شمال أفريقيا باتت واضحة المعالم، الشيء الذي حدى بهذه الصحيفة محاربتها إعلاميا تحت هذا الاسم"⁽¹³⁾ وأما عن توقفها فيرجعه إلى: "أن الظروف التي حلت بسابقتها قد أثرت بها هي الأخرى، فاحتجبت في السنة التي تلت أي سنة 1920"⁽¹⁴⁾.

كما أشار (عبدالرحمن عزام) في مذكراته المنشورة، أنه وبعد مرافقته للأمير (عثمان فؤاد)، عند مغادرته الأراضي الليبية عن طريق تونس وتسليم نفسه للقوات الفرنسية رجع إلى مصراتة ونشر خبر رحيل الأمير في صحيفة كان يصدرها على البالوطة وكان اسمها (الرجل الحر) وذكر أنها كانت هي اللسان الرسمي للجمهورية الطرابلسية⁽¹⁵⁾ وهو المصدر ذاته الذي اعتمدته الباحثة (أسماء مصطفى الأسطى) في إثباتها التاريخي لوجود هذه المطبعة⁽¹⁶⁾ كما أن الباحثة اعتمدت على مصدر

تاريخي آخر وصفته بالثقة لتثبت من خلاله وجود دورية أخرى حملت اسم (الجمهورية) أشرف على إصدارها الزعيم والمناضل "سليمان الباروني"⁽¹⁷⁾ تقول: "ومع تواصل الجهاد والتنقل اضطر القائمون على تأسيس (الجمهورية الطرابلسية) إلى العودة إلى استخدام الآلات الطباعية البدائية وإصدار دوريات مخطوطة توزع مجاناً، تعويضاً عن غياب وسائل الاتصال الأخرى فظهرت (الجمهورية) التي أصدرها (سليمان الباروني) و(الرجل الحر) و(سيف الحق) التي أصدرها (عبدالرحمن عزام) و(أفريقيا) التي صدرت في مصراتة، كانت جميعها مخطوطة أقرب إلى المناشير السرية منها إلى الدوريات، فبسبب المرحلة التي ظهرت فيها ولقلة نسخها وأعدادها، لم يعثر على كيانها المادي حتى الآن"⁽¹⁸⁾ أيضاً صدرت في مسلاته صحيفة (البلاغ) كصحيفة مخطوطة بعد أن قامت السلطات الإيطالية بإيقاف صحيفة (اللواء الطرابلسي) صحيفة حزب الإصلاح الوطني، والتي انطلقت مسيرتها في طرابلس بتاريخ 1919/10/9م، وتوقفت عن الصدور بسبب سيطرة القوات الإيطالية سنة 1923م، وقد حملت الصحيفة البديلة شعار "احتجبت اللواء في غياهب الاستبداد فنطق البلاغ في ربوع الحرية" ولكنها بسبب الظروف الصعبة لم تعمر طويلاً⁽¹⁹⁾.

الإصدارات الصحفية خلال الفترة

من خلال العودة للمعلومات التي اعتمدها مدونة تاريخ الصحافة، عن الصحف التي يتوقع أنها صدرت في مصراتة كمدينة أو المناطق الخاضعة للحكومة الوطنية، فإن الموضوع المطروح يثير عديد التساؤلات: أولاً عن الأسبقية التاريخية في صدور هذه الدوريات من جهة، ومن جهة أخرى عن مكان طباعتها، وعن أسمائها التي حملتها؟، وهو مما يمكن البحث فيه من خلال المصادر التاريخية المتاحة، أما الأسئلة المتعلقة بفترات الإصدار، والكمية المسحوبة من كل عدد، والأعداد التي صدرت من كل مطبوعة، وأيضاً أسماء الكتاب وعناوين

الموضوعات المنشورة وغيرها، فالأمر يصعب البحث فيه لعدم تمكن الباحثين من العثور على أي كيان مادي لهذه الإصدارات - حتى الآن - لو استثنينا عدد يتيم من صحيفة (البلاغ).

أولاً/ الأسبقية التاريخية من حيث الصدور

اعتبرت المصادر التاريخية أن جميع تلك الصحف قد صدرت عقب اعتماد القانون الأساسي سنة 1919م، لو استثنينا صحيفة (البلاغ)، والتي صدرت بديلاً عن صحيفة (اللواء الطرابلسي) بعد توقفها، وكان صدورها سنة 1923م، لكن البحث التاريخي كشف عن معلومات جديدة حول أسبقية الصدور لتلك الصحف:

الصحيفة الأولى (أفريقيا إسلامية)

تعد هذه المطبوعة أول صحيفة صدرت في مصراتة لكن لم يكن تاريخ صدورها سنة 1919م - كما ذهب البعض -، وإنما كان صدورها سنة 1917م، وحملت اسم (أفريقيا إسلامية)، وقد اعتمدنا في تأكيد هذه المعلومة على وثيقة ألمانية، وهي عبارة عن تقرير أرسله قائد البعثة الألمانية في مصراتة إلى حكومته مؤرخ في 1917/9/9م⁽²⁰⁾. ومما جاء فيه:

"إن الدعاية التي يتم ممارستها هنا، اعتبرها حاجة ماسة للتحسين. الصحيفة التي تصدر أسبوعياً "أفريقيا إسلامية" Afrika islamie والتي أرسلت مرفقة من عدة نماذج تعتبر صنيعاً بعض المصريين والعرب المولدين من الأتراك وهو ككل شيء يمر عبر هذه الأيدي، ليس لها قوة ولا ذوق لدي فأنا أرجو المضي بإمدادي بدعاية جيدة من ألمانيا...". يستنتج من هذه الفقرة من التقرير.

- 1- وجود صراع خفي بين السلطة التركية الموجودة في مصراتة والسلطة الألمانية بها.
- 2- يمكن العثور على نسخ من هذه الدورية في الأرشيف الألماني حيث تم إرفاقها كنماذج للتقرير.

3- وجود عناصر مصرية وعربية وصفهم بأنهم موالين للأتراك تدير هذه الصحيفة، ويقصد هنا المستشار (عبد الرحمن عزام) وبعض الضباط الآخرين، ويفهم منه أن هذه العناصر قد سيطرت على الدعاية الإعلامية ووظفتها لمصلحتها، ولهذا نراه يطلب وجود دعاية ألمانية موازية تخدم المصالح الألمانية

4- وجود مطبعة صدرت عنها هذه الصحيفة في مصراتة.

وبناء على ذلك فإن صحيفة (أفريقيا إسلامية) صدرت في ظل حكومة مصراتة الوطنية، وتعد أول الصحف صدورا خارج مدينة طرابلس، حيث صدرت قبل اعلان الجمهورية الطرابلسية، وقبل صدور قانون النظام الأساسي سنة 1919. الذي صدرت على أساسه صحيفة (اللواء الطرابلسي) صحيفة حزب الإصلاح الوطني، وبعض الصحف الأخرى.

الصحيفة الثانية (سيف الحق)

ما يتعلق بالصحيفة الثانية صحيفة (سيف الحق) التي أشرف على إصدارها المستشار (عبدالرحمن عزام)، فهي تعد لاحقة من حيث الصدور لصحيفة (أفريقيا إسلامية)، وليست سابقة عليها، وأن الفارق الزمني بينهما يصل إلى ما يقارب السنتين.

وقد أكدت المصادر التاريخية أن صدور هذه الصحيفة أيضا كان قبل صدور القانون الأساسي وبعد إعلان الجمهورية الطرابلسية في 16/11/1918م. ولو رجعنا إلى الفترة التي تواجدت فيها القوات التركية والألمانية خلال الحرب العالمية الأولى (1914-1918) في مصراتة، نجد أن الغواصات الألمانية قد بدأت نشاطها على شواطئ مصراتة في 1916م، حيث تواجدت القيادة العثمانية بقيادة (نوري باشا) بها وكان برفقتها (عبدالرحمن عزام) وتواصلت بعدها الرحلات لتنتهي بانهزام تركيا وألمانيا وتوقيع المعاهدة مع الحلفاء في 31 أكتوبر 1918م والتي نصت على وجوب انسحاب الجيوش التركية من جميع البلاد العربية⁽²¹⁾.

وفترات تواجد عبدالرحمن عزام في مصراتة خلال الحرب العالمية الأولى، نجد أنه التحق بمصراتة سنة 1916، سافر بعدها إلى الأستانة شهر 1917/8م ولحق به (نوري باشا) شهر يناير 1917م ولما عين (عثمان فؤاد) قائدا للقوات الأفريقية، عين مستشارا له ورجع إلى مصراتة شهر مارس 1918م، ليستمر تواجده بها إلى نهاية الحرب العالمية الأولى وما بعدها⁽²²⁾.

ومن ذلك يمكننا أن نستنتج أن عبد الرحمن عزام ويتواجده الأول كان مساهما مع غيره من المثقفين والضباط وبفاعلة في الجانب الإعلامي الصحفي من خلال إصدار صحيفة (أفريقيا إسلامية) وأنه عند عودته برفقة القائد عثمان فؤاد إلى مصراتة وبعد انسحاب القوات التركية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وبرام معاهدة الانسحاب وإعلان الجمهورية الطرابلسية أصدر هذه الصحيفة (سيف الحق) "فقد صدرت صحيفة وطنية أخرى تحت اسم (سيف الحق) ناطقة باسم الجمهورية الطرابلسية قام بتأسيسها أيضا عبدالرحمن عزام عام 1919"⁽²³⁾ لتكون ناطقة باسم الجمهورية الوليدة، وليبدأ صدورها في مصراتة تقريبا أواخر سنة 1918م الأمر الذي يجعلها كذلك صادرة قبل صدور القانون الأساسي.

الصحيفة الثالثة (الرجل الحر)

ذكرت بعض المصادر أن هذه الصحيفة هي من بين الصحف التي صدرت في مصراتة خلال الفترة ذاتها وأن من قام بإصدارها هو عبدالرحمن عزام، بينما لم نتطرق إلى ذكرها مصادر أخرى، الأمر الذي يطرح سؤالا ملحا هو: هل هذه الصحيفة هي ذاتها صحيفة سيف الحق أم هي غيرها؟

المدونة التاريخية للصحافة الليبية - وحسب ما اطلعت عليه- اختلفت فيما بينها، البعض ذكر هذه الصحيفة مثبتا وجودها مستندا على نفس المصدر التاريخي الذي أشرنا إليه وهو - مذكرات عبدالرحمن عزام- أما بعضها الآخر فلم يتطرق إلى ذكر هذه الصحيفة، مع التأكيد أن كل تلك المصادر قد أكدت على الوجود

التاريخي لصحيفة (سيف الحق) باستثناء المذكرات، والصحيفتين صادرتين في نفس الفترة تقريبا. وهو ما يوهم إلى أنهما قد يكونا ذات الصحيفة، وأن عبدالرحمن عزام، نظرا لبعدها المدة الزمنية بين وقوع الحدث، وتوثيقه كتابة في مذكراته، كان قد نسي اسم الصحيفة (سيف الحق) وذكرها باسم بديل وهو (الرجل الحر) لأنه لا مبرر يدعوه إلى تغيير الاسم الأول واستبداله باسم جديد، خاصة وأنه قد حافظ على تواجد ومكانته كمستشار للجمهورية الطرابلسية حتى آخر لحظاتها، إضافة إلى عدم ذكره للصحيفة الأخرى في مذكراته، مع احتمال أن العنوان الذي اثبت في المذكرات (الرجل الحر) هو أقرب إلى أن يكون عنوانا للمقال الذي كتبه عبد الرحمن عزام مودعا به الأمير، ويكون قد نشره في صحيفته (سيف الحق) التي كان يشرف عليها؛ لأن الإمكانيات الطباعية والفنية في تلك الفترة والظروف المحيطة، لا تتيح تعدد الإصدارات الصحفية، ومع كل هذه الاحتمالات فإن البحث التاريخي حتى الآن يحتم اعتماد (الرجل الحر) كأحد الصحف المخطوطة الصادرة في مصراتة خلال الفترة مدار البحث.

الصحيفة الرابعة (الجمهورية)

فقد اعتمد وجود هذه الصحيفة مصدر تاريخي واحد، وكنا قد أشرنا إلى ذلك فيما سبق، وأصدرها وأشرف عليها المناضل (سليمان الباروني) وعنوانها ينبئ عن صدورها عقب إعلان الجمهورية الطرابلسية⁽²⁴⁾.

الصحيفة الخامسة (البلاغ)

هذه الصحيفة لم تصدر في مدينة مصراتة، ولكنها صدرت في أحد المناطق التابعة لحكومة مصراتة الوطنية وهي مدينة مسلاتة، وقد كان صدورها عقب توقف صحيفة (اللواء الطرابلسي) وأشرف على صدورها الصحفي (عثمان القيزاني) والمناضل (بشير السعداوي) وهي لم تعمر طويلا - كما سبقت الإشارة- بسبب اجتياح القوات الإيطالية للمدينة⁽²⁵⁾.

ثانيا/ مكان صدور هذه الصحف

ارتبطت المطابع ارتباطا وثيقا بالإصدار الصحفي، من حيث النشأة والاستمرار والتطور كذلك، ونظرا لأن المطابع كان تواجدتها المكاني مدينة طرابلس خلال فترة الحكم العثماني، وأيضا الفترة الأولى من الحكم الإيطالي، فإن وجود مطابع في مكان آخر، لم يكن ناتجا عن رغبة السلطات الحاكمة في التطوير، ولم يأت بصورة طبيعية وإنما جاء بشكل استثنائي، دفعت إليه ظروف متعددة داخلية وخارجية - كما سبقت الإشارة - فقد ذكر التقرير الألماني وجود مطبعة بدائية (حجرية) تقوم بطباعة الصحيفة الصادرة في ذلك الوقت وهي صحيفة (أفريقيا إسلامية) ولو استثنينا صحيفة (البلاغ) التي تم إصدارها في مدينة مسلاته لفترة قصيرة - ستة أسابيع- سنة 1923م، فإن صحف (أفريقيا إسلامية، وسيف الحق، والرجل الحر) قد صدرت في مدينة مصراتة، حيث كان وجود تلك المطبعة⁽²⁶⁾ ويرجع ذلك إلى أن مصراتة تعد المكان الأكثر استقرارا، فهي مقر تواجد حكومة مصراتة، وأهم مؤسسات الجمهورية الطرابلسية، ولم تبق إلا صحيفة (الجمهورية) إذ لم تحدد أيا من المصادر التاريخية حتى الآن مكان صدورها.

الصحافة ودورها النضالي

لقد لعبت هذه الصحف - رغم بدائيتها وبساطتها- دورا مهما في بث روح النضال والتضامن والتكاتف بين أبناء الوطن الواحد، والحث على التمسك بالقيم الروحية والدينية والدعوة للجهاد ضد الإيطاليين الغزاة، والتصدي لكل الدعوات المضللة التي كانت تستهدف بث روح الفرقة والهزيمة والاستسلام، فقد كانت تصدر تلك الصحف على ما يبدو كرد على الدعاية المضادة التي كانت تصدرها الطائرات الإيطالية على مصراتة⁽²⁷⁾.

وقد اتبعت هذه الصحف الوطنية المناضلة رغم الظروف التي وجدت فيها، نهجا فكريا مقاوما للاستعمار وسياسته، فكانت صوتا للوطنيين المخلصين وصدا للنضال المقدس الذي خاضوه⁽²⁸⁾.

وساهمت أقلام المثقفين والضباط المناضلين من وطنيين وعرب وأتراك في إثراء هذه الصحف بالمقالات الجادة الداعية والمحرضة على المقاومة والصمود في وجه القوة الإيطالية الغاشمة.

وعرفت هذه الصحافة، أقلاما وطنية صادقة، ساهمت بالكلمة كسلاح مقاومة، بالإضافة إلى مشاركة أصحابها بالمقاومة المسلحة حيث معارك الشرف والفداء، ورغم تمكن القوات الغازية من القضاء على تلك الصحافة، إلا أن الأعلام المناضلة استمرت في مقاومتها للهيمنة الاستعمارية في بلدان الهجرة، حيث كانت تمثل صوت ليبيا الوطني الحر، ومن أشهر هذه الشخصيات والتي واصلت العمل الصحفي وبفاعلية داخل ليبيا وخارجها.

وتوقف هذا النشاط الصحفي المؤثر، بعد أن تمكنت القوات الإيطالية في سنة 1923م من بسط سيطرتها على مختلف المدن والمناطق في غرب ليبيا بما فيها مدينة مصراتة معقل المقاومة ومقر الحكومة الوطنية ودرع الجمهورية القوي، لتنتهي معها صحافة المقاومة التي كانت أهم مكان لتواجدها مصراتة.

ويبقى لدينا سؤال أخير يطرح نفسه وهو: لماذا توقفت أربعة من تلك الصحف سنة 1920م؟.

لم تشر المصادر إلى أسباب واضحة، ولكن يمكننا استخلاص عدد منها من واقع الظروف التي أحاطت بفترة الإصدار ومنها:

1. وجود صحافة وطنية بديلة تعبر عن التوجه النضالي، أكثر تطورا في جوانبها الفنية والتحريرية، وهي صحيفة "اللواء الطرابلسي"، حيث يتم تجهيزها الفني وطباعتها في مطابع أكثر تطورا في طرابلس، كما شارك في تحريرها والكتابة فيها

نخبة من الأقلام الوطنية ذات الخبرة بالعمل الصحفي، يأتي في مقدمتهم الصحفي المناضل (عثمان القيزاني) الذي تولى الإشراف عليها ورئاسة تحريرها، وقد تعرض بسبب ذلك إلى مضايقة السلطات الإيطالية له وللصحيفة، حتى تم اغلاقها، بسبب النهج المقاوم الذي سارت عليه، والذي اكسبها انتشارا واسعا، وصفه الأستاذ علي مصطفى المصراتي بقوله: "كانت الجريدة لسان الشعب ومنبره الصادح.. كما كانت منارة الرأي العام وصحيفة الأمة ... لأنها جريدة حزب الإصلاح... كانت الأيدي تتخاطف جريدة اللواء الطرابلسي، وشجعها الناس على اختلاف طبقاتهم، ولم تشهد البلاد في تاريخها الصحفي، في تلك الحقبة جريدة تنفذ أعدادها في ساعات صدورها، ويتصارع القراء على اقتناء أعدادها، والأغنياء على مد يد المساعدة لها، مثل ما كان لجريدة عثمان القيزاني، لأنها جريدة الحزب المدافع عن حقوق البلاد"⁽²⁹⁾.

2. ضعف الإمكانيات الفنية للمطبعة الحجرية بمصراتة، وعدم العمل على تطويرها وتحديثها، ومغادرة الفنانين الذين كانوا يعملون بها، بسبب تبعيتهم للقيادة التركية التي كانت متواجدة في مصراتة إبان الحرب العالمية الأولى.
3. الصراع الذي حدث بين زعماء المناطق المكونة للجمهورية وما ترتب عليه من نتائج أثرت في حركة المقاومة الوطنية المسلحة وقاعدتها القوية بمصراتة.
4. نقض السلطات الإيطالية للاتفاق الموقع مع المجاهدين، وعودتها للسيطرة على المناطق المحررة من خلال استعمالها للقوة المسلحة.

الخاتمة

بالرجوع إلى عدد من المصادر التاريخية، استطاع البحث أن يتوصل إلى توثيق وتصحيح بعض المعلومات المتعلقة ببداية الصحافة في مدينة مصراتة، من خلال اجابته على الأسئلة التي تم طرحها في مقدمته وخلص إلى النقاط الآتية وهي:

1- تعد مدينة مصراتة أول مدينة بعد مدينة طرابلس تنشأ فيها الصحافة، وهي بذلك سابقة عن غيرها من المدن، حيث انطلقت مسيرة أول صحيفة بها وهي صحيفة أفريقيا اسلامية سنة 1917م، كما أنها قد أنشأ بها أول مطبعة خارج مدينة طرابلس.

2- عرفت مصراتة خلال سنة 1919م تعددا في الإصدار الصحفي، فبالإضافة إلى صحيفة أفريقيا إسلامية، صدرت بها صحيفة سيف الحق، وصحيفة الرجل الحر.

3- ظهور عدد من مثقفي مصراتة خلال الفترة، ممن اهتموا بالعمل الصحفي وشاركوا فيه بفاعلية، يأتي في مقدمتهم : بشير السعداوي ومحمد ظافر المدني ومحمد عباس.

4- تعددت الأسباب التي دفعت إلى توقف التجربة الصحفية في مصراتة خلال فترة البحث، ولعل أبرزها نقض السلطات الإيطالية بنود الاتفاق الموقع بينها وبين المجاهدين، وانقلابها على بنود القانون الأساسي الضامن لبعض الحقوق للوطنيين، من بينها حرية القول والطباعة، واعادتها احتلال المناطق المحررة وبسط سيطرتها عليها بالقوة.

5- من خلال المصادر التي اطلعت عليها لم يصدر بمصراتة خلال فترة الحكم الإيطالي، أي إصدار صحفي باستثناء ما تم ذكره.

الهوامش

- 1- علي محمد جهان، الحياة الثقافية بمصراتة أثناء العصر العثماني الثاني، ط1، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ليبيا، ص 219- 220.
- 2- علي مصطفى المصرتي، صحافة ليبيا في نصف قرن، ط2، 2000، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة، ليبيا، ص 26.
- 3- سعاد علي عمر مسعود، الفكر الإصلاحي في ولاية طرابلس الغرب (1897- 1911) جريدة الترقى أنموذجاً، ط1، 2009، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، ليبيا، ص 71.
- 4- المرجع نفسه، ص 68.
- 5- المرجع نفسه، ص 75.
- 6- الصيد أبو ذيب "صحيفة الترقى.. صفحة مشرقة في تاريخ الصحافة الليبية) مجلة تراث الشعب، العدد 3-4، السنة 17، صادرة بتاريخ: 1997، ص 37.
- 7- علي مصطفى المصرتي، مرجع سابق، ص 31.
- 8- المرجع نفسه، ص 32.
- 9- لمزيد المعلومات حول حكومة مصراتة والأدوار التي قامت بها الرجوع إلى: مراد أبو عجيله القمودي، حكومة مصراتة الوطنية وأثرها على حركة الجهاد في ليبيا من سنة (1914- 1922)، ط1، 2009، مكتبة الزحف الأخضر للنشر والتوزيع، مصراتة، ليبيا.
- 10- عبدالعزيز سعيد الصويعي، بدايات الصحافة الليبية (1866- 1922) ط1، 1989، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة، ليبيا، ص 187- 188- 189.
- 11- المرجع نفسه، ص 188.
- 12- المرجع نفسه، ص 188- 189.
- 13- المرجع نفسه، ص 189.
- 14- المرجع نفسه، 189.
- 15- جميل عارف، عبدالرحمن عزام، صفحات من المذكرات السرية، ج1، ط1، 1977، المكتب المصري الحديث، القاهرة، مصر، ص 220- 221.
- 16- أسماء مصطفى الأسطى، الصحافة الليبية، دراسة حصرية تحليلية وبيبلوغرافيا

- (1866-2003) ط1، 2008، مجلس الثقافة العام، سرت، ليبيا، هامش رقم: 61 مدرج في الصفحة 165.
- 17- مرجع سابق، هامش رقم: 60 مدرج في الصفحة 164، وأشارت فيه الباحثة إلى المصدر الذي استقت منه المعلومة وهو كتاب: صفحات خالدة من جهادنا الوطني، للكاتبة/ زعيمة الباروني.
- 18- نفس المرجع، ص 119.
- 19- علي مصطفى المصرتي، مرجع سابق، ص 207-208.
- 20- مراد أبو عجيبة، مرجع سابق، مرفق رقم: 16، ص 444.
- 21- للمزيد من حول رحلات الغواصات الألمانية والدور الذي قامت به الرجوع إلى: عمليات الغواصات الألمانية في المياه الليبية وحركة الجهاد 1915-1918، دراسة في تاريخ العلاقات الليبية الألمانية، ترجمة عماد الدين غانم، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ليبيا، 2003.
- 22- للمزيد عن الأدوار التي قام بها (عبدالرحمن عزام) حال تواجده في ليبيا، الرجوع إلى: الشيخ الطاهر محمد الزاوي، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، ط2، دار الفتح، بيروت، لبنان، 1973م.
- 23- مراد أبو عجيبة، مرجع سابق، ص 174.
- 24- أسماء مصطفى الأسطى، مرجع سابق، ص 164.
- 25- للمزيد من المعلومات الرجوع إلى: علي مصطفى المصرتي، مرجع سابق، عبدالعزيز سعيد الصويغي، مرجع سابق، أسماء مصطفى الأسطى، مرجع سابق.
- 26- عبدالعزيز سعيد الصويغي، مرجع سابق، ص 188-189.
- 27- مراد أبو عجيبة القمودي، مرجع سابق، ص 174.
- 28- عبدالعزيز سعيد الصويغي، مرجع سابق، ص 187.
- 29- للمزيد من المعلومات عن الصحفيين والدور الذي قاموا به الرجوع إلى: علي مصطفى المصرتي، مرجع سابق.